فَلْسَفَةُ المبنيّ للمجهول في العربيّة

تاريخ تسلم البحث: ٢٠١٠/٢/٣م تاريخ قبوله للنشر: ٢٠١٠/٨/٢٢م

حسين إرشيد العظامات *

ملخص

يتناولُ هذا البحثُ قضيةً أساسيةً تنتجُ عن البناء للمجهول في اللغة العربيّة، وهي أنّ للمبني للمجهول بنيةً ذهنيّةً عميقةً ديناميكيّةً، تصرِّح بشيءٍ وتُخفي أشياءَ، فبنية الفعل المبني للمجهول تحتوي طاقةً حدثيَّةً تختلف كثيراً عن الطاقة الحدثية في الفعل المبني للمعلوم، وفي ذلك إثارة للمتلقي أو السامع تجعله يتفاعل مع النصّ، ويكون فيه طرفاً أساسياً.

إنّ البناء للمجهول يفتح آفاقاً واسعةً من المعاني لا يؤدّيها البناء للمعلوم، ويتبيَّن ذلك من خلال ما يشيعه من دلالات سوف تتكشَّف لنا في ثنايا هذا البحث.

Abstract

This study is concerned with a key issue related to the passive voice structure in Arabic language. Passive voice in Arabic has a deep, dynamic and intellectual structure that sometimes states something directly and insinuates another some other time. The Arabic structure of passive voice has an advantage in terms of the form and meaning over the Arabic active voice. For instance, the listener reacts with the text and becomes a very basic party of it. This structure can be also a subject for further interpretations, allowing the hearer to understand it in so many different ways. It functions in a way that active voice cannot.

المقدمة:

تناولَ العلماءُ الأفعالَ من وجهات متعددة، فوصفوها من حيث أزمنتها، وتناولوها من حيث زيادتها وتجردها، وبناؤها وإعرابها، ومن حيث صحتها واعتلالها، وكذلك بحثوها من حيث بناؤها للمعلوم وبناؤها للمجهول وغير ذلك من التقسيمات التي حفلت بها كتب النحو والصرف.

والذي يهمُّنا من هذه القسمة هو قسمتهم للفعل من حيث بناؤه للمعلوم وبناؤه للمجهول. المتأمل في هذا التقسيم يجد وصفهم للمجهول لا يعدو أن يقف على وصف البنية الصرفية

* أستاذ مساعد، مركز اللغات، جامعة آل البيت.

للفعل، أو التدليل على المعاني المقصودة للمجهول كإخفاء الفاعل، أو التستر عليه، أو عدم معرفته، أو قلّة أهميته... .

أما بحثنا هذا فقد قصدنا فيه مقصدا آخر يتصل بالقيمة الدلالية للفعل إذا كان مبنيا للمجهول عند مقايسته بذاته إذا كان مبنيا للمعلوم.

فإذا كان مفهوم الفعل "ما دلّ على حدث مقرون بزمن" فإنَّ السؤال المطروح: هل الحدث في الفعل إذا كان معلوما فاعله، كالحدث في الفعل إذا كان فاعله مجهولاً؟

وعليه فإنّنا لا نسعى إلى الوقوف على سبب بناء الفعل للمجهول من وجهة نظر تقليدية، فلا يهمنا إذا كان الفاعل معروفا أو مجهولا، ولا إن كان مهما أو غير مهم، ولا يعنينا إرادة التستر عليه أو كشفه... .

بل انصرف الجهد إلى محاولة الوقوف على الفعل من حيث كونه لفظة دالة على الحدث، ومن حيث كونه قيمةً حدثيةً، فهل ما فيه من حدث إذا كان مبنيا للمعلوم كما فيه من قيمة حدثية إذا كان مبنيا للمجهول؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل يقترح الباحث أن يمهد للدخول إلى الموضوع بإيضاح مصطلح يعدُّ ركيزة مهمة من ركائز الدراسة وهو ما نقترح تسميته "**بالطاقة الحدثية**"، ونقصد بها: "مقدار ما يحمله الفعل من قيمة تعبيرية دالة على الحدث في السياق اللغوي".

وهذه القيمة متراوحة في الأفعال كما تعهدها حروف الزيادة، فقطّع أكثر مبالغة من قطَع ... ولكن كيف تبدو هذه القيمة في بناءي الفعل المعلوم والمجهول من غير اللجوء إلى حروف الزيادة؟

أهميّة البحث:

يهتمّ البحثُ بالأبعاد الدلالية التي يؤدِّيها تعبير المبني للمجهول من حيث:

- البناء المقطعيّ للفعل.
- الطاقة الحدثيّة للفعل في هذا الأسلوب.
- البنية الذهنيّة العميقة الديناميكيّة التي يؤدِّيها المبني للمجهول، وهي تقوم على ذهنيّة عميقة ديناميكيّة، تصرِّح بشيءٍ وتُخفي أشياء.
- إثارة المتلقي أو السامع في بنية البناء للمجهول التي تجعله يتفاعل مع النصّ، ويكون فيه طرفاً أساسياً.

شواهد البحث: تمّ اختيار شواهد البحث من سورة التكوير، فقد ورد في هذه السورة اثنا عشر شاهداً على أسلوب المبني للمجهول.

تمهيد:

ذَكَرَ النُّحَاةُ العربُ مَسْأَلَةَ البناء للمجهول في معظم كتبهم النّحويّة[1]، وذكروا أنّ البناء للمجهول هو طريقة (أو أسلوب) في التعبير تقوم على حذف الفاعل من تركيب الجملة بحيث يكون هذا الحذف واجباً، ويُقام مقام الفاعل

المحذوف المفعول به، فالمفعول به يقوم مقام الفاعل، ويبقى الكلام بدون اسم منصوب، لأن الاسم الذي كان منصوباً أصبح مرفوعاً، فيُعطَى ما كان للفاعل من لزوم الرفع، ووجوب التأخير عن رافعه، وعدم جواز حذفه.

وذهب بعض النحاة إلى أنه لا ينوب عن الفاعل بوجود المفعول به شيء، لأنه أولى بالنيابة من غيره، فالفعل أشدّ طلبا له من سواه[٢]، والصواب في ذلك أن ينوب عن الفاعل ما له الأهمية في إيضاح الغرض وإبراز المعنى، من غير تقيّد بأنه مفعول به أو غير مفعول به، وأنه أول أو غير أول، متقدِّم أو غير متقدِّم، ففي قولنا: خطف اللص الحقيبة من يد صاحبتها أمام الراكبين في الحافلة، تكون نيابة الظرف (أمام) أولى من نيابة غيره، فيقال: خُطِف أمامُ الراكبين في السيارة الحقيبة من يد صاحبتها. لأن أهم شيء في الخبر وأعجبه أن تقع الحادثة أمام الراكبين وبحضورهم وهم جمع كبير يشاهد الحادثة دون أن يبالي بهم اللص[٣].

وإذا كان للفعل أكثر من مفعول وبني للمجهول رُفع المفعول الأول على أنه نائب فاعل، وبقي غيره منصوبا، نحو: مُنِح الفائزُ بالمرتبة الأولى جائزةً، والأصل: منَحَ المشرفون الفائزَ بالمرتبة الأولى جائزةً.

وتجوز إنابة المفعول الثاني إن أُمِن اللبس، نحو: أُعطِيَ كتابٌ الصديقَ، فإن لم يؤمن اللبس لم تصح إنابة غير الأول، ففي مثل: أعطيتُ الفريق مدرباً يصلح كل من المفعول الأول والثاني ليكون آخذاً ومأخوذاً، فلا تصح إنابة غير الأول، أي الفريق، لكي يتَّضح أنه هو الآخذ، والمدرب هو المأخوذ.

وقد ذكر النّحاة أيضاً أنّه قد ينوب عن الفاعل المحذوف[٤]:

- الظرف المتصرِّف المُختصّ، نحو: سُهِرت ليلةٌ مقمرة. والظرف غير المتصرف هو ما يكون إلا ظرفاً مثل: (الآن، ومع، وحيث) أو ظرفا ومجرورا مثل: (قبل، وبعد، وعند، ومتى، وأين)، فهذه الظروف وأشباهها لا تصلح للنيابة عن الفاعل.

أما الظرف المتصرف فهو الظرف الذي لا يلتزم النصب على الظرفية، بل يقع مرفوعا أومنصوبا أو مجرورا على حسب ما يقتضيه الكلام، مثل: (يوم، وشهر، وليلة، وقدام، وخلف، وما أشبهها). والظرف المختص هو الظرف المفيد غير المبهم، أي الظرف الذي يكتسب الاختصاص بالوصف نحو: قُضِيَ يومٌ بهيجٌ، أو بالإضافة نحو: انتُظِرت ليلة العيد، أو بالعلمية نحو: يُعرَفُ تموزُ بشدّة حرارته.

- المصدر المتصرِّف المختصّ، نحو: اقتُرِح اقتراحٌ جيّد، ومنه قوله تعالى: **﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾**[١٣: الحاقة].

والمصدر غير المتصرف هو المصدر الذي يلازم النصب على المصدرية فلا يقع

إلا مفعولا مطلقا نحو: معاذ الله، وسبحان الله، فلا تجوز إنابته عن الفاعل. أما المصدر المتصرف فهو المصدر الذي يقع مرفوعا أو منصوبا أو مجرورا على حسب ما يقتضيه الكلام، مثل: (جلوس، واقتراح، وفهم، وما أشبهها)، والمصدر المختص هو المصدر المفيد غير المبهم أي المصدر الذي يكتسب من لفظ آخر معنى يزيد على معناه المبهم الذي لا يدل إلا على الحدث المحض. ويكون اختصاص المصدر بوصفه نحو: عُلِمَ علمٌ واف، أو ببيان عدده نحو: جُلِسَتْ جلستان لبحث الموضوع، أو ببيان نوعه نحو: قُوتِلَ قتالُ الشجعان.

- المجرور بحرف الجر، نحو: لا يُسكَتُ على اعتداء، فـ(اعتداء) مجرور لفظا بحرف الجر مرفوع محلا على أنه نائب فاعل، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾** [١٤٩: الأعراف].

أما الأغراض التي من أجلها يُلجأ إلى صيغة البناء للمجهول فقد ذكر النُّحاة أنّ هذا الأسلوب في العربيّة يأتي لأغراضٍ منها[٥]:

- الخوف على من قام بالحدث.
- الجهل بالفاعل، وعدم معرفته.
- عدم الإفصاح عن فاعل الحدث.
- دناءة من قام بالحدث.
- الهيبة والجلال والتعظيم لمحدث الحدث.
- الإيجاز والاختصار.
- إقامة الوزن.
- إصلاح السّجع.

وهناك من النّحويين من قسّم هذه المقاصد من حذف الفاعل في جملة المبني للمجهول إلى قسمين:

أ. مقاصد معنويّة: (الخوف على من قام بالحدث، والجهل بالفاعل، وعدم معرفته، وعدم الإفصاح عن فاعل الحدث، ودناءة من قام بالحدث، والهيبة والجلال والتعظيم لمحدث الحدث).

ب. مقاصد لفظيّة: (الإيجاز والاختصار، وإقامة الوزن، وإصلاح السّجع).

أسباب إقامة اسم مرفوع عند حذف الفاعل:

يذكر بعض النحويين سبب إقامة اسم مرفوع إذا حُذف الفاعل بقوله: "إنّ الفعل لا يخلو من فاعل، فلمّا حُذف فاعله على الحقيقة استُقْبِح أن يخلو من لفظ فاعل، فلهذا وجب أن يقيم مقام اسم الفاعل اسم مرفوع"[٦]، وهناك علّة أخرى تبين سبب حذف الفاعل وإقامة المفعول به مقامه، وهي حمل المفعول به على الفاعل[٧].

وقد أطلق النُّحاة على هذا الأسلوب في التعبير تسميات عدة، منها[٨]:

الفعل المبني للمفعول.

- ما اسْتُغْنِيَ عن فاعله.
- ما لم يُسمَّ فاعله.
- المفعول الذي لا يُذكر فاعله.
- المفعول.

فقد دلَّ سيبويه هذا الأسلوب اللّغويّ بطرقٍ عديدة منها:

- الميزان الصرفي (فُعِلَ يُفْعَل)، ويظهر ذلك في بعض نصوص الكتاب كقوله: "ويكون الحرف على افعاللت ... وإذا أردتَ منه (فُعِلَ) قلبت الألف واوا للضمة"[٩]، ويظهر أنه يريد بـ (فُعِلَ) هنا البناء للمجهول.
- ويستعمل مصطلح (فعلُ المفعول) كما في قوله: "وقد يتعدَّى فعل المفعول فينصب وذلك قولك: كُسِيَ عبدُالله الثوبَ"[١٠].
- ويستعمل مصطلح (الفعل الذي شُغِلَ بالمفعول)، يقول: "هذا باب ما يكون من المصادر مرفوعا فيرتفع إذا شغلت الفعل به، وينتصب إذا شغلت الفعل بغيره"[١١].

أما الفراء فقد استعمل أكثر من مصطلحٍ للدلالة على المبني للمجهول منها (فعل لم يسمَّ فاعله)[١٢]، ثم يستعمل مصطلح (الفاعل) ليدل به على صيغة المبني للمعلوم، ومصطلح (المفعول) ليدل به على صيغة المبني للمجهول، يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [١١١: التوبة]: "قراءة أصحاب عبدالله يقدمون المفعول قبل الفاعل"[١٣]، ويقصد بذلك أنهم يقدِّمون المبني للمجهول (يُقتلون).

أما ابن السراج فذهب إلى تسمية الفعل المبني للمجهول بـ "ما لم يسم فاعله"[١٤]. أما "نائب الفاعل" فيسميه "المفعول الذي لم يسم من فعل به"[١٥] ويطلق عليه أيضا مصطلح "القائم مقام الفاعل"[١٦].

وذهب ابن جني في تسميته مذهبا آخر فقد أطلق عليه مصطلح "بناء الفعل للمفعول"[١٧]. وسمّى "نائب الفاعل" بمصطلح "مفعول أقيم مقام الفاعل"[١٨].

وذهب الكرماني إلى استعمال مصطلح "المبني للمجهول" يقول: "ولأن قوله (طُبِعَ) محمول على رأس الآية وهو قوله: "وإذا أُنْزِلَتْ سورةٌ" مبنيٌّ للمجهول"[١٩]. ويسميه أيضاً "الفعل المسند إلى المجهول"[٢٠].

وذهب ابن يعيش إلى تسميته بمصطلح "ما لم يسم فاعله" وتابعه في ذلك الرضي الاستراباذي، وابن هشام[٢١].

صياغة الفعل المبني للمجهول:

ذكر النّحويّون أنّ الفعل في جملة المبني للمجهول إمّا أن يكون ماضياً أو مضارعاً[٢٢]:

* فإذا كان ماضياً فإن بناءه يكون على النحو الآتي:

- ضمّ الحرف الأوّل.
- كَسْر ما قبل الأخير.

وهذا ينطبق على الفعل الثلاثيّ الصحيح: المجرد أو المزيد.

أمثلة: أ- الفعل الماضي المجرّد:

كَسَرَ ـــــــــــــ كُسِرَ

كَتَبَ ـــــــــــــ كُتِبَ

ب- الفعل الماضي المزيد:

اسْتَفْتَح ———— اُسْتُفْتِح

انكسر ———— انْكُسِر

أمّا الفعل الثلاثيّ المُعْتلّ نحو: (قال ومال وسال من ذوات الواو) فإنّ بناءه للمجهول يكون كالآتي:

(قِيْل ميْل سِيْل) وذلك بأن تصير واوه ياءً.

* وإذا كان مضارعاً فإنّ بناءه يكون على النّحو الآتي:

- يُضمّ الحرفُ الأوّلُ ويُفْتَح الحرف قبل الأخير

أمثلة: أ- يكتب ———— يُكْتَب

يرعى ———— يُرْعَى

وقد بيَّن النّحاة أنّ الأفعال التي لا تتعدّى لا يُبْنَى منها فعل مبني للمجهول؛ لأنّ ذلك مُحال نحو: جلس وقام، لا يجوز أن نقول: قيم زيد، ولا جُلِس عمرو(٢٣).

جُملة المبنيّ للمجهول: الظاهرة والأسلوب:

البناء للمجهول ظاهرة أسلوبيّة، وهو من جماليات اللّغة العربيّة ومن أساليبها الرّاقيّة، ويُعدُّ هذا الأسلوب نمطاً من أنماط الإعجاز القرآنيّ، ويقوم هذا البناء على جملة فعليّة يُحْذَف فيها الفاعل، وينوب عنه المفعول به، أو الظرف المتصرِّف المُخْتصّ، أو المصدر المتصرِّف المختصّ، أو الجار والمجرور، والفعل الوارد فيها إمّا أن يكون ماضياً، أو مضارعاً. وفي هذا الأسلوب التعبيريّ تجري تغييرات على بنية الفعل، وهي تغييرات صرفيّة تتمثّل بضمّ الحرف الأول من الفعل (سواء أكان ماضياً أم مضارعاً)، وكسر الحرف قبل الأخير (إذا كان الفعل ماضياً)، وفتح الحرف قبل الأخير (إذا كان الفعل مضارعاً)، وقلب الواو ياءً مع كسرها (إذا كان الفعل معتلاً من ذوات الواو).

وسُمِّيت جملة المبني للمجهول بهذا الاسم؛ لأنّ مُحدِث الفعل (الفاعل) مجهول.

وتتضمّن جملة المبني للمجهول الجوانب الآتية:

١) جانباً نحوياً: ويتعلّق هذا الجانب بتركيب الجملة ونظامها، وهو يتكون من وظائف المفردات المكونة لهذا البناء (الفعل + نائب الفاعل + المتمِّمات).

٢) جانباً صرفياً: وهو يتعلق بالتغيرات التي تجري على شكل الفعل المستخدَم في هذا البناء، وكذلك تغيير حركة النصب للمفعول به إلى الرفع لنائب الفاعل.

٣) جانباً دلالياً: وهو يشمل الأبعاد الدلالية المتنوعة المتشكّلة التي نتجت جراء التغييرات الشكليّة التي جرت على بنية الفعل، وحذف الفاعل الحقيقي، وما حلّ مكانه.

وفي مسألة البناء للمجهول بين الأصل والفرع يذكر السيوطي أنّ فعل المفعول عند

الجمهور مُغيَّر من فعل الفاعل فهو فرع منه، وينقل عن الكوفيين والمبرِّد وابن الطراوة قولهم بأنه أصل[٢٤].

أمّا الّذي يظهر لنا فهو أن البناء للمجهول يُعدّ بنية مُحوَّلة من أصل (وهي البناء للمعلوم) لتؤدِّي أغراضاً بلاغيّة تُفهم من السِّياق، ونرى أنّ البناء للمجهول (البنية المحوَّلة) يضفي على العبارة أسلوباً راقياً يُضاف إلى جماليات اللغة، وأن هذا البناء برأينا أكثر فصاحة من البناء للمعلوم؛لأنه يفتح آفاقاً واسعة من المعاني.

خصائص جملة المبني للمجهول:

لهذا الأسلوب التعبيريّ خصائص عدة، لعلَّ أهمها أنّه:

١- جملة مُحوَّلة عن جملة أصليّة يُطلق عليها: جملة المبني للمعلوم.
فالجملة الآتية: خُلِقَت الإبِل، تُعدُّ مبنية للمجهول، وهي في الأصل: خَلَقَ اللهُ الإبِلَ، فصيغة المبني للمجهول متحوِّلة من صيغة المبني للمعلوم: الفعل: (خُلِقَ) متحوِّل من الفعل: (خَلَقَ).

٢- جملة موجزة، فيها اختصار وإيجاز (فيها حذف للفاعل)، ففي قولنا: سُجِنَ اللِّصُ. بني الفعل للمجهول، وأصل القول: سجنّ القاضي اللّص.

٣- جملة ذات طاقة حدثيّة: أي أنّ الفعل فيها يصبح محلّ تركيز.

٤- جملة مثيرة تجعل المتلقّي في إثارة، ومتشوِّقاً لمعرفة مُحْدِث الحدث، بمعنى آخر تجعل المتلقّي من بيئة النص (فهو يبحث عن الفاعل).

٥- جملة فيها احترام لعقل المُتَلقِّي وذلك عندما يكون مُحدث الحدث معروفاً: فلا فائدة من ذِكْرِ الفاعل وهو معروف للمتلقّي.

الأبعاد الدلاليّة في جملة المبني للمجهول:

إذا كنا نصف الفعل بأنه ما دلَّ على حدث مقرون بزمن، فإنَّ هذا الفعل قد يكون مبنيا للمعلوم وقد يكون مبنيا للمجهول، ولا يختلف العلماء في مفهوم الفعل من حيث هو فعل سواء أكان مبنيا للمعلوم أو مبنيا لمجهول. ولكن الذي نراه أنَّ مفهوم الفعل في البناءين، وإن كان واحدا، إلا أنَّ الحدث متفاوت. بمعنى أنَّ الفعل إذا كان مبنياً للمجهول كان الحدث فيه أكبر، وهو ما سميّناه سابقا "بالطاقة الحدثية". ففي البناء للمجهول تمكن للحدث الفعلي وفيه يزداد مقدار التفعيل الحدثي، وأنَّ البناء للمجهول هو وسيلة من وسائل تحقيق هاتين القيمتين وأداة من أدواتهما.

وللتدليل على ما ذهبنا إليه، نستعرض الآيات القرآنية التي تصف أهوال يوم القيامة في القرآن الكريم، أو أحداث اليوم الآخر وقيام الساعة، إذ يلحظ المتأمل في هذه الآيات استخدام البناء للمجهول بصورة ملحوظة، ونسبة كبيرة.

يقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾،

و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * ...﴾، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾، ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ...* ... مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾.

ولا شكَّ أنَّ أحداث هذا المشهد هي أشد الأحداث وأعظم الأهوال، ولمّا استوعبتها صيغة المبني للمجهول، دلَّ ذلك على أنَّ في هذا البناء سعة ليست في غيره، وعليه قلنا الطاقة الحدثية في هذه الصيغة هي أكبر وأكثر.

إنَّ جملة المبني للمجهول أسلوب تعبيريّ لا يلجأ إليه المتكلّم اعتباطاً، بل هناك أهداف وأبعاد دلاليّة عميقة تتوارى خلف هذا البناء، ففي الجمل الآتية:

- خُلِقَت السمواتُ والأرضُ.
- ضُرِبَ زيدُ.
- سُرِقَ المنزلُ.

يُلاحظ أن هذه التراكيب تتضمّن السِّمات الآتية:

١- تراكيب مُحوّلة عن جمل أصلية وهي:
- خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ.
- ضَرَبَ عمرو زيداً.
- سرقَ اللِّصُ المنزلَ.

٢- تمّ إسناد الفعل في هذه التراكيب إلى مجهول.

٣- تمّ تغيير بِنْيَة الفعل (ضمّ أوله، وكسر ما قبل الآخر).

٤- البناء المقطعيّ للفعل في هذه التراكيب (الطاقة الحدثيّة للفعل) أكثر من البناء للمعلوم.

* خَلَقَ ——— بناء مقطعي ذو طاقة حدثية عادية. (طاقة حدثية قليلة)

خُلِقَ ——— بناء مقطعي ذو طاقة حدثية أكثر. (الفعل فيه محلّ تركيز)

* ضَرَبَ ——— بناء مقطعي ذو طاقة حدثية عادية. (طاقة حدثية قليلة)

ضُرِبَ ——— بناء مقطعي ذو طاقة حدثية أكثر. (الفعل فيه محلّ تركيز)

* سَرَقَ ——— بناء مقطعي ذو طاقة حدثية عادية. (طاقة حدثية قليلة)

سُرِقَ ——— بناء مقطعي ذو طاقة حدثية أكثر. (الفعل فيه محلّ تركيز)

يُلاحظ ممّا سبق أنّ انتقال العبارة من المبني للمعلوم إلى البناء للمجهول يعطي تركيزاً أكثر للفعل، فيكون أشدّ وقعاً على المتلقي أو السامع، كما أن إيقاع الفعل المبني للمجهول يركز الطاقة الحدثيّة المتضمنة في الفعل.

القيم الدلالية في صيغة المبني للمجهول:

ذكر النحاة أنّ إخفاء الفاعل في مثل هذا التعبير إنّما هدفه(٢٥):

١- عدم الإفصاح عنه.
٢- تعظيمه.
٣- الخوف عليه.
٤- الجهل به.

ويبدو أنّ هذه التأويلات بسيطة وغير كافية، لأنّ الأساليب اللّغويّة لاتُبنى على قوالب جامدة، بل تُبْنَى على ديناميكيّة (بنية ذهنيَّة عميقة)، لذا نجد أنّ التركيب السابقة التي بُني فيها الفعل للمجهول تطرح قضيتين أساسيتين، هما:

أولاً: قضيّة مُصرَّح بها، نسميها البنية السطحيّة، وهي كما في الأساليب السابقة:

- خَلَقَ اللهُ السموات والأرضَ.
- ضَرَبَ عمرو زيداً.
- سَرقَ اللّصُ المنزلَ.

ثانياً: قضية غير مصرَّح بها، نسميها البنية العميقة، وهي تتضمّن الأبعاد الدلاليّة الآتية:

- في الجملة الأولى: ليس هناك إنكار أنّ الله قد خلق السموات والأرض، وليس هناك إنكار لتعظيم الفاعل (الله) عند حذفه.
- في الجملة الثانية: ليس المقصود أنّ الضارب مجهول فحسب، فقد يكون معروفاً.
- في الجملة الثالثة: ليس المقصود الجهل بالسارق فقط، لأنك قد نستطيع بعد فترة معرفته.

ولكن هناك دلالات ذهنيّة عميقة ديناميكية وراء هذا الأسلوب التعبيريّ تتمثّل بما يلي:

١- الجملة الأولى: السموات والأرض قد أُدخلت في حيز الوجود على نحو مجهول: مجهول في الكيفيّة، ومجهول في الزّمانيّة.
٢- الجملة الثانية: الضرب قد أُلحق بزيد على كيفية مجهولة، وزمان مجهول أيضاً.
٣- الجملة الثالثة: المنزل قد تعرّض للسرقة على كيفية مجهولة، وزمان مجهول.

وعليه فإن باستطاعتنا الخلوص إلى أن للبناء للمجهول في العربيّة فلسفة لغوية خاصة تقوم على عنصرين:

١- الإخبار عن شيء معروف، كإخفاء الفاعل، أو الجهل به، أو تعظيمه ... إلخ.
٢- الإخبار عن أشياء مخفيّة، تجعل المتلقي حائراً متشوقاً.

وعليه فإنّ المبني للمجهول يجعل النص يحتمل ملابسات كثيرة، وهذه من فوائد هذا التعبير، فهو أبلغ من البناء للمعلوم؛ لأنه يفتح آفاقاً واسعة من المعاني.

وبذلك فإن التعبير بصيغة المبني للمجهول يولد دلالات متعددة منها:

- أنّ الفعل في هذا البناء يصبح محلّ تركيز (شحن الفعل).
- أنّ في هذا الأسلوب احتراماً لعقل المتلقّي: فما الفائدة من ذِكْر الفاعل وهو معروف للمتلقّي؟.
- أنّ في هذا الأسلوب تجاوزاً لفكرة الزمن، فالزمن غير محدّد، وهذه الفكرة هي إحدى أغراض المبني للمجهول.

ولعلّ النّاظر في الجمل الآتية الواردة في سورة (التكوير) يجد أنّ هذا الأسلوب التعبيريّ يحمل أبعاداً دلاليّة متنوعة.

والآيات التي احتوت على هذا الأسلوب جاءت على النحو الآتي:

١- **﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾**.
٢- **﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾**.
٣- **﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾**.
٤- **﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾**.
٥- **﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾**.
٦- **﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾**.
٧- **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾**.
٨- **﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾**.
٩- **﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾**.
١٠- **﴿وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ﴾**.
١١- **﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾**.
١٢- **﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾**.

فقد جاء التعبير عن أحداث يوم القيامة وأهوالها في الآيات السابقة بصيغة المبني للمجهول، ومن المعلوم أنّ الآيات المكيّة تركِّز على العقيدة، لذا فإنّ دلالة هذه الصيغ، على تنوّع موضوعاتها مع إخفاء الفاعل أو تغميضه، تهدف إلى التعبير عن الدّلالات الآتية:

١- الخوف والرّهبة.
٢- التّعدد.
٣- إعلاء الشأن والمنزلة.
٤- تجاوز فكرة الزمن.
٥- تأكيد إظهار الفاعل.
٦- الإثارة والتّعجُّب.

ويُلاحظ من الآيات السابقة أنّ البناء للمجهول في هذه السورة يجعل في العبارة تركيزا وثقلا معنويا، فما يحصل يوم القيامة من مشاهد كونيّة ليس أمراً عادياً، مع أنّ الفاعل معروف ضمناً، فالفاعل أَجَلُّ من أن يُذْكَر وأظهر من أن يذكر، وفيما يأتي بيان للدلالات التي ذكرناها سابقاً:

أوّلاً: الخوف والرهبة:

ففي قوله تعالى: **﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾** جاء البناء للمجهول في التركيب **﴿كُوِّرَتْ﴾** في سياق الحديث عن موقف يوم القيامة وما يحصل فيه من انقلابات كونية، فهذا الموقف يثير الخوف والرهبة، ويناسبه البناء للمجهول، وهذا البناء يجعل القارئ أو المتلقّي في رغبة لإثبات الإيمان، ورهبة من هول ما يحدث،

وعظمة للمحدث المخفي، فالّذي يكوِّر الشمس أكبر من الشمس، وقد جيء بهذه الصيغة؛ لأنّ مشاهد يوم القيامة فيها شيء من الغموض، ولذلك نلاحظ أنها قضية يكثر فيها التفسير.

ومن الدلالات لهذا البناء أنّه قد تكون الكيفية المكانية والزمانية (للتكوير) مجهولة: غير معلومة وغير معروفة، فالبناء للمجهول يجعل المعنى فيه نوع من التعظيم، والشعور بأن الأمر ليس عادياً.

ثانياً: التعدد (التعميم):

قد يكون وجود أكثر من فاعل للحدث سبباً لإخفائه:

ففي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ**﴾ قد يفتح هذا البناء للمجهول آفاقاً واسعة من المعاني: مَن الّذي يسألها؟

وكذلك في قوله تعالى: ﴿**بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ**﴾ مّن الّذي قتلها؟

يُلاَحظ أنّ الفاعلين كما يُعلم كثر، وفي ذلك تقبيح لذلك السلوك الجاهلي الذي كان عليه كثير من العرب في الجاهلية، حيث كانوا يستقبحون ولادة الأنثى لهم فيقومون بوأدها.

ثالثاً: إعلاء الشأن والمنزلة:

قد يكون سبباً لإخفاء الفاعل، ففي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ**﴾ نجد أنّ البناء للمجهول: أُزلفت، جاء ليُقرِّر حقيقة وهي أنّ الجنة تمّ إعدادها إكراماً لأصحابها.

رابعاً: تجاوز فكرة الزمان والمكان:

ففي قوله تعالى: (كُوِّرت)، فإن الكيفية المكانيّة والزمانية مجهولة، فالتكوير غير معلوم المكان والزمان، وقد ساعد البناء للمجهول في تجاوز فكرة الزمان والمكان هنا.

خامساً: تأكيد إظهار الفاعل:

إنّ الناظر للأفعال المبنية للمجهول في الآيات السابقة يجد أنّها تشير إلى أنّ الخالق هو الله أكثر من مجيئها مبنية للمعلوم، وهي تؤكد إظهار الفاعل وهو (الله)، فقول الحقّ ﷻ:

- ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾.
- ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ**﴾.
- ﴿**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ**﴾.

بالبناء للمجهول أكثر وقعاً من البناء للمعلوم: كوّر الله الشمس، وسيّر الله الجبال، وعطّل الله العشار.

فتثبيت الفاعل في البناء للمجهول أكثر من لو كان معلوماً؛ لأن البناء للمعلوم في مثل هذه السياقات فيه سطحيّة، أما البناء للمجهول ففيه تثبيت الفاعل أكثر من لو كان البناء معلوماً.

سادساً: الإثارة والعجب والتمكّن:

قد يكون الجهل في معرفة الفاعل مثيراً للنفس البشريّة ممّا لو كان معروفاً، فقولنا: قُتِلَتْ وعُطِّلَتْ أكثر إثارة وعجباً من قَتَلَ وعطَّلَ.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾

نجد أنّه لمّا يسقط الفاعل من هذا التركيب يكون التركيز على الحدث، ويصبح هناك تضخيم للحدث، فيجعل هذا البناء فيه نوع من التّمكُّن.

الهوامش:

(١) انظر: سيبويه، **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ج١، ص٤١-٤٢. ابن سرّاج، **الأصول في النحّو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ج١، ص٥٨. المبرّد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج٤، ص٥. ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٧، ص٦٩. ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ج٢، ص١١٩.

(٢) انظر: مصطفى الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، ج٢، ص٢٤٢.

(٣) انظر: عباس حسن، **النحو الوافي**، ج٢، ص١١٧.

(٤) انظر: المبرّد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج٤، ص٥١. ابن سرّاج، الأصول في النحّو، ج١، ص٧٧-٧٩. أبا حيان الأندلسيّ، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق: مصطفى النمّاس، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٨٤-١٩٠. ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

(٥) انظر: ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٧، ص٦٩-٧٠. أبا حيان الأندلسيّ، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق: مصطفى النمّاس، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٨٤. خالد الأزهري، **شرح التصريح على التوضيح**، ج١، ص٢٨٦. ابن سرّاج، **الأصول في النحّو**، ج١، ص٧٧-٧٩.

(٦) أبو الحسن محمد عبد الله الورّاق، **عِلَل النّحو**، تحقيق: محمود محمد نصّار، دار الكتب العلميّة، بيروت ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٨٥.

(٧) **المصدر السابق**.

(٨) انظر: سيبويه، **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ج١، ص٤١-٤٢. المبرّد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، ج٤، ص٥٠. ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٧، ص٦٩. إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين ابن عبد الله العكبري ابن عقيل مجلد١، ج٢، ص١١٩. السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٣، ص٢٧٤.

(٩) **الكتاب**، ج٢، ص٢٨٤.

(١٠) **الكتاب**، ج١، ص٤١-٤٢.

(١١) **الكتاب**، ج١، ص٢٢٩.

(١٢) انظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص١٠٢.

(١٣) **معاني القرآن**، ج١، ص٤٥٣.

(١٤) انظر: **الأصول في النحو**، ج١، ص٧٦.

(١٥) انظر: **الأصول**، ج١، ص٧٦.

(١٦) انظر: **الأصول**، ج١، ص٧٦.

(١٧) انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص١٣٥.

(١٨) انظر: ابن جني، **المحتسب**، ج١، ص٢٢٩.

(١٩) الكرماني، **أسرار التكرار**، ص١٠٠.

(٢٠) انظر: الكرماني، **أسرار التكرار**، ص١٠٠.

(٢١) انظر: **شرح المفصل**، ج٧، ص٦٩. والرضي الاستراباذي، **شرح الكافية**، ج٤، ص١٢٨. وابن هشام، **مغني اللبيب**، ج٢، ص٦٦٤.

(٢٢) انظر: ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٧، ص٧٠. و**شرح ابن عقيل**، ج٢، ص١١٣-١١٤.

(٢٣) انظر: ابن السرّاج، **الأصول في النحو**، ج١، ص٧٦-٧٧.

(٢٤) انظر: السيوطي، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٣، ص٢٧٤.

(٢٥) انظر: **شرح المفصل**، ج٧، ص٧١. و**همع الهوامع**، ج١، ص٥١٨.